ويجد الشاعر هويته في ذكرياته عن الماضي ، ولكن الزمن مصمم حتى على انتزاع الذكرى من اللاجئين ، فيصبح اللجوء والاغتراب هوية لهم ؛ يقول :

والذكريات هوية الغرباء احيانا ، ولكن الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين ، ويرحل الماضي ،
ويتركهم بلا ذكرى . اتذكرنا ؟ وماذا لو تقول : بلى !
أتذكر كل شيء عنك ؟ ماذا لو تقول بلى ! وفي الدنيا
قضاة يعبدون الاقوياء(٤٩).

ولكن الذكريات تصبح وجها آخر للموت ، اذ أن الذكريات والموت هما وسيلة الرجوع الى وطن ، يتأرجح جريحا على حبل مشنقة بين عدد لامتناه من الخناجر ، فيعود الشاعر الى اكتشاف نفسه بالانتماء ؛ فيقول :

والذكريات تمر مثل البرق في لحمي ، وترجعني اليك ..
اليك . ان الموت مثل الذكريات كلاهما يمشي اليك ..
اليك ، يا وطنا تأرجح بين كل خناجر الدنيا وخاصرة
السماء(٥٠).

ويظل الشاعر منقطع الجذور بدون تربة يزرع فيها فتمده بأسباب البقاء ، ويظل معلقا بين أرض غريبة وبين سماء غريبة ، ولا يبقى له سوى الاتحاد الكامل بالوطن المعشوق، فيقول :

لم يبق لي
الا ان اتشرد في ظلك الذي هو ظلي
ولم يبق لي
الا ان اسكن صوتك الذي هو صوتي(٥١).

وفي غمرة انفعال الشاعر يكتسب الواقع بعدا أسطوريا فيعادل رمز بابل — المزروع في اللاوعي الانساني — صورة الوطن الذي اتحد الشاعر معه ، فلا يعود الوطن حدودا جغرافية يعيش الشاعر خارجها ، بل يصبح روحا حلت في الشاعر ، ولذلك فهو معه اينما ذهب ؛ فيقول :

أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لا اقيم في بابل
بابل هي التي تسكن تقاطيع وجهي
أينما ذهبت .
ويا أيتها النوافذ البعيدة كالحب الاول
أنا لست منفيا
في قلبي نفيت المنفى ، وذهبت(٥٢).

وتتشعب حدود الوطن في جسم الشاعر ، فتحفر خطوطها في جبينه وتحت عينيه، فيقول:

هذه الشقوق المحفورة في جبيني
ليست بصمات السنين
وهذه الخطوط الزرقاء تحت عيني
ليست دليلا على السهر مع النساء
انها الحدود التي تتشعب في جسمي(٥٣).

وتتجسد مأساة الوطن المحتل في القدس التي ضاعت هويتها ، وتقلبت كالحرباء متخذة في كل مرة صورة مختلفة من صور المأساة : فتتخذ صورة اله اسطوري عار ، وتتجسد فيها